07/01/2026

كلمةُ صاحبِ الغبطةِ البطريركِ ثيوفيلوس الثالث على مأدبة عشاء الميلاد في كنيسة المهد



٦ كانون الثاني ٢٠٢٦

“أصحابُ العالي والسعادةِ

ممثلُ فخامةِ الرئيسِ محمود عباس

ممثلُ جلالةِ الملكِ عبد الله الثاني بن الحسين

أصحابُ الغبطةِ والنيافةِ والسماحةِ

السيداتُ والسادةُ الأفاضلُ

الضيوفُ الكرامُ القادمونَ إلى بيتَ لحمَ من مختلفِ دولِ العالمِ

المجدُ للهِ في الأعالي وعلى الأرضِ السلامُ، وبالناسِ المسرّةُ

من بيتَ لحمَ، مدينةِ الميلادِ، حيثُ دخلَ الرجاءُ إلى تاريخِ البشريةِ متجسداً في طفلٍ نلتقي في هذهِ الليلةِ المُباركةِ في وقفةِ صلاةٍ ومسؤوليةٍ أمامَ اللهِ والإنسان. هنا، في المكانِ الذي شَهِدَ تواضعَ اللهِ وقربِهِ من البشرِ، تعودُ الأسئلةُ الوجوديةُ لتفرضَ حضورَها حولَ قدسيةِ الحياة، وحولَ السّلامِ الذي لا يُبنى إلا على العدلِ، ولا يستقيمُ إلا بصونِ الإنسانِ وحمايةِ المُقدّساتِ.

وفي هذهِ المدينةِ التي تحملُ ذاكرةَ الميلادِ ومعناهُ العميقَ، نستقبلُ هذا العيدَ بقلوبٍ مُتجدّدةٍ، إذ تلبسُ بيت لحم ثوبَ الجديدَ بعدَ أعمالٍ ترميمٍ التي أنجزتْ بأيدٍ فلسطينيةٍ، بدعمٍ سخيٍّ من أصدقاءَ في العالم. هذهِ الحجارةُ التي شهدتْ ميلادَ المسيحِ، وسارَ عليها الرعاةُ والحكماءُ، تحكي اليومَ قصةَ شعبٍ يتمسّكُ بالأملِ رغمَ الجراحِ، ويؤمنُ بأنّ الحجرَ الذي رفضَهُ البناةُ يبقى حجرَ الزاويةِ.

ونحنُ في بيت لحم، نعلمُ أنّ الحجَّ ليسَ مجرّدَ زيارةٍ إلى الماضي، بل هو لقاءٌ مع الحاضرِ ومع الإنسانِ الحيّ. فالحجرُ يتكلّمُ حينَ يسمعُ الإنسانُ، والكنيسةُ تكونُ كنيسةً حينَ تفتحُ أبوابَها للجميعِ، والمذودُ يبقى رمزاً حينَ يذكّرُنا بأنّ اللهَ اختارَ الفقراءَ والبسطاءَ ليكونوا أولَ شهودِ الرجاء.

ومن هذا المكانِ المقدّسِ، نرفعُ صلاتَنا من أجلِ العالمِ أجمع، ومن أجلِ الشرقِ الأوسطِ الذي يعيشُ أزماتٍ قاسيةً، ومن أجلِ الأرضِ المقدّسةِ التي تستحقُّ السلامَ الحقيقيَّ القائمَ على العدلِ واحترامِ الحقوقِ. نصلّي من أجلِ المسيحيينَ في الشرقِ، ليبقوا أمناءَ لرسالتِهم، ومن أجلِ الحجاجِ الذين يأتونَ من كلِّ القارّاتِ، ليعودوا إلى بلدانِهم حاملينَ رجاءً لا خوفاً، وشهادةً لا ضجيجاً.

ونخصُّ بالذكرِ أبناءَ رعايانا في الشتاتِ، الذين يحملونَ بيت لحم في قلوبِهم أينما ذهبوا، ونطلبُ من اللهِ أن يحفظَهم ويقوّيَ رابطَهم بالأرضِ التي منها انطلقوا.

وفي هذا العيدِ، نؤكّدُ أنّ الحجرَ لا يصرخُ وحدَهُ، بل يصرخُ معَهُ كلُّ إنسانٍ يرفضُ الظلمَ والعنفَ والاحتلالَ. فالحجرُ شاهدٌ على الألمِ، لكنّهُ أيضاً شاهدٌ على الرجاءِ، لأنّهُ يبقى حيثُ وُضِعَ، ثابتاً في وجهِ الريحِ والعواصفِ.

ونختمُ بالصلاةِ من أجلِ السلامِ في كلِّ مكانٍ، وخصوصاً في الأرضِ المقدّسةِ، حيثُ يُطلبُ من الحجرِ أن يتكلّمَ، ومن الإنسانِ أن يسكتَ. نسألُ اللهَ أن يُلهمَ قادةَ الشعوبِ شجاعةَ القرارِ، وأن يُسكتَ صوتَ السلاحِ، وأن يُعيدَ إلى الأرضِ المقدّسةِ وجهَها الحقيقيَّ: أرضَ اللقاءِ، لا أرضَ الانقسامِ.

أيها الحضورُ الكريم،

إن الكنيسة في الأرض المقدسة تمثل جسداً حياً يسير مع الإنسان في دروب الألم، ويثبت حيث يتعرض الوجود المسيحي للتهديد. ومن هذا الإدراك العميق تنبع رسالة بطريركية القدس وموقفها. فقد قال يسّدّنا المخلّص المسيح في إنجيل يوحنا 10: 11: أنا الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف. بهذه الروح التزمت الكنيسة واجبها الرعوي والإنساني، حاملة همّ الإنسان والمكان معاً، باعتبارهما أمانة واحدة لا تنفصل.

في القدس، المدينة التي تحتضن ذاكرة الخلاص، عبّرت الكنائس مراراً عن رفضها لتحويل القدس إلى ساحة للصراع الدموي، والتي تمنع حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة، ولا سيما كنيسة القيامة في الأيام الأخيرة من الأسبوع العظيم، حيث شهدنا، بشكل خاص في شعائر سبت النور العظيم، مشاهد مؤلمة من الحواجز والقيود التي تمنع المؤمنين من الوصول إلى الأماكن المقدسة التي تمسّ الحاجة إليها للصلاة والعبادة. كما حذّرنا من الإجراءات التي استهدفت الكنائس ومؤسساتها، ومنها بطريركيتنا، مؤكدين أن المساس بمؤسسة كنسية واحدة يعكس على مجمل الحضور المسيحي في الأراضي المقدسة كلّها. إنّ الحفاظ على تراث الوضع القائم ليس شأناً إدارياً أو بروتوكولياً، بل واجباً أخلاقياً وروحياً يصون الحقوق ويحفظ الطابع الفريد للمدينة المقدسة وحيمي رسالتها الجامعة.

وقوفنا إلى جانب أهل بلدة الطيبة قضاء رام الله عقب اعتداءات مجموعات إسرائيلية متطرفة على الكنيسة والمقبرة وحقول الزيتون، أكدنا أن هذه الممارسات لا تستهدف الحجارة والأشجار فحسب، بل تمسّ الإنسان والأرض والذاكرة والهوية. إن الأرض التي شهدت حياة السيد المسيح، وأن حماية الإنسان هي في جوهرها حماية للمعنى الروحي لهذه الأرض.

أما غزة، فهي جرح مفتوح في ضمير العالم. هناك بقيت الكنيسة مع أهلها في قلب المأساة، تشهد على معاناة الإنسان حين يُدفع إلى أقصى حدود الألم. لقد عاينا استهدافات متكررة طالت المقدسات والمؤسسات المسيحية، من قصف المستشفى الأهلي العربي، إلى استهداف كنيسة القديس برفيريوس، ثم كنيسة العائلة المقدسة، وما رافق ذلك من شهداء وجرحى، وحرمان للنازحين وذوي الاحتياجات الخاصة من أبسط مقومات الحياة. ومن أجل ذلك حملنا الرعوي والإنساني إلى غزة، إيماناً بأن الكنيسة تجعل من الصلاة خدمة، ومن الرجاء مرافقة حقيقية ومساندة فعلية للمتألمين.

ولم تغب عن صلواتنا وآلامنا كنائس المشرق. فقد آلمنا الاعتداء الذي طال كنيسة مار إلياس في دمشق، ورفعنا الصلاة مع إخوتنا هناك، مستنيرين بكلمات الإنجيل المقدس: لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير. رومية 12: 21.

في هذه الليلة المباركة، نصغي من جديد إلى ندا الإنجيل: طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون. ويعضدنا أيضاً قول الإنجيل: إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. رومية 12: 18. السلام الذي ننشده هو التزام أخلاقي ورؤيا بحماية الحياة، وصون حرية العبادة، والحفاظ على كرامة الإنسان في القدس وبيت لحم وغزة والناصرة وسائر أرضنا المقدسة.

ومن بيت لحم، نرفع الصلاة أن يمنح الله قادة العالم حكمة ومسؤولية، وأن يعزّي كل قلب منكسر، وأن يثبّت شعبنا في أرضه، وأن تبقى مقدساتنا أماكن صلاة ولقاء، وأن يظل الميلاد نور رجاء حيّ يشقّ طريقه في عالم يتوق إلى السلام.

عيد ميلاد مجيد، وكل عام وأنتم في سلام الرب ورجائه”

ar.jerusalem-patriarchate.info